بسم الله الرحمن الرحيم

المشروع السياسي الواعي والقويم

نصيحة لإخوتنا المخلصين في هيئة تحرير الشام

جميعنا يرى ويحس واقعنا المزري الذي نعيشه نحن المسلمين اليوم على كل الأصعدة وفي كل المجالات، فساد ممنهج ومستشرٍ في كل بلداننا حتى النخاع. فساد سياسي واقتصادي واجتماعي وإداري وتعليمي وثقافي... وحدث ولا حرج.

ولقد غلبت الشعوب الإسلامية على أمرها فيما يتعلق بأنظمتها وحكامها، فأمر إصلاح هذه الأنظمة صار مستحيلا، وبات أمر ترميمها ضرباً من الخيال والعبث، والسبب هو أن القائمين عليها من وراء الكواليس من دول الاستعمار: أمريكا وبريطانيا وفرنسا، قد حاكوا نسيج هذه الأنظمة بطريقة خبيثة بحيث إنك مهما حاولت إصلاحها فلن ينتج في نهاية المطاف إلا شكل آخر من الفساد والدكتاتورية والظلم والتبعية للمستعمرين، وما حصل في مصر وتونس بعد الثورات لهو خير دليل على ذلك.

والحقيقة المتجلية للعيان اليوم هي أن الحل الوحيد المتبقي للنجاة من واقعنا المرير هذا هو هدم هذه الأنظمة عن بكرة أبيها وإقامة نظام واحد مستقل عن الغرب دستوريا وأمنيا. فطالما كان دستور البلاد نابعا من فكر الأمة وعقيدتها، وطالما كان أمانها بيدها وجيوشها تحت خدمتها كان النظام مستقلا والأمة حرة منعتقة عن إرادة المستعمرين.

وإلا فما فائدة التغيير الذي يبذل فيه الغالي والنفيس من أجل استبدال فساد بفساد أو نظام تابع لمستعمر بنظام آخر تابع لمستعمر آخر؟ وما فائدة التغيير الذي يجعل فكر الأمة وعقيدتها رتوشا وحواشيَ على أطراف صفحات الدستور وليس لهما علاقة بأركانه؟ ما فائدة التغيير الذي يستبدل استعمارا إنجليزيا باستعمار أمريكي؟ لا شك أن هكذا تغيير وهذه التضحيات المبذولة ستذهب أدراج الرياح وتستمر البلاد والعباد تحت (رحمة) المستعمرين يتجرعون ظلمهم وكيدهم وسمومهم.

ثلاث آيات في بداية سورة الأحزاب تحل اللغز وتهدي الحائرين والتائهين في طريق التغيير، ثلاث آيات قصيرات تبين كيف وبم استطاع المسلمون الأولون العظام تغيير حالهم واستثمار طاقاتهم خير استثمار وفي الاتجاه الصحيح، بحيث لا يهدر الوقت ولا المال ولا الطاقات عبثا ولا سدى، بل ولن يحدث تأخير ولا مماطلة في الحصول على النتائج المرجوة من التغيير. وستكون كل التضحيات في مكانها وكل والطاقات في خدمة هذا المشروع الجليل الذي هو مشروع التغيير الواعي.

الآية الأولى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**﴾

البراءة السياسية من كل دول الكفر ومن المنافقين: منهم حكام المسلمين ووزراؤهم وقادات جيوشهم والذين يتملقونهم ويدعمونهم من التجار والمفكرين وأصحاب الأقلام المسمومة.

لقد أمر الله الرسول بعصيان الكفار حال تسيير شؤون المسلمين وإدارة مصالحهم. وختمت الآية بأن الله الذي أمرك بعصيان الكفار والمنافقين لعلم وحكمة له في هذا الأمر. فلا تناقش يا محمد ولا تجادل في هذا الأمر. قضي الأمر ورفعت الأقلام وجفت الصحف. أغلق باب الاجتهاد في هذه المسألة، فالله حسمها ولا عمل لعقولنا ولا مجال للتذاكي والتقديم بين يدي الله، فالله هو العليم وهو الحكيم وهو الذي قضى الأمر وبته. وإذاً فلا يجوز لنا إلا التسليم المطلق لهذا الأمر ولا يجوز أن نختلف في مسألة بت وقطع فيها الله عز وجل، بل إن أي اختلاف فيها يكون ضعفاً في التقوى ومعصية لله، فالله سبحانه اعتبر عصيان الكافرين والمنافقين من التقوى حينما خاطب رسوله ﷺ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ**﴾ في بداية الآية، ومعنى ذلك أنك إن لم تعص الكافرين والمنافقين فإنك لم تتق الله، حاشاه ﷺ.

إذاً حال تسييرنا شؤوننا كلها وخصوصا السياسية منها التي توحدنا جميعا، علينا كمسلمين أن نعصي الكافرين والمنافقين. فعصيان الكفار والمنافقين صار نهجا وقاعدة سياسية للمسلمين في هذه الحياة، يجب اتباعها وعدم مخالفتها.

وهذا يعني أن نعصي دول الكفر وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين، وهيئة الأمم وقوانينها وصندوق نقدها وبنكها الدوليين ومنظمة التجارة الدولية وغيرها من الهيئات والمنظمات الصادرة عن الكفار.

وأن نعصي المنافقين، وأكبر المنافقين اليوم هم حكامنا وزبانيتهم، وإعلان البراءة منهم. ومن يفعل غير ذلك يكون قد خالف النهج السياسي الذي أقرته الآية.

ومن أكبر المنافقين من حكام اليوم أولئك الحكام الذين يزركشون أعمالهم وأقوالهم بقال الله وقال رسوله ثم يطبقون أحكام الكفر وقوانين الربا والفساد والإفساد في بلادهم أمثال الغنوشي في تونس، والبشير لما كان رئيس السودان، وحزب العدالة لما كان مشكلا للحكومة في المغرب، وعلى رأس كل هؤلاء، المنافق الأكبر أردوغان الذي يلبس عباءة الإسلام ويقرأ القرآن، ثم يساند بوتين وإيران في حرق الشام ووأد الثورة، ويطبق أحكام الكفر في تركيا، ويأكل ويطعم الربا بنسبٍ هي الأعلى في العالم. تأمرنا الآية أن نعصي هؤلاء لا أن ننتخبهم أو ندعمهم، فالله تعالى أمر بعصيانهم ولو فعلوا بعض الخيرات، فالمنافقون زمن رسول الله ﷺ قد بنوا مسجدا، والله تعالى سماه مسجد ضرار وأمر بهدمه وعدم الصلاة فيه، فهدمه الرسول الكريم ﷺ.

الآية الثانية: ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾

وهذا هو الدستور الذي وضعه الله لنبيه وللمسلمين: وهو اتباع الوحي وفقط الوحي.

فبعد أن طلب الله عز وجل من نبيه أن يعصي الكافرين والمنافقين في شؤون حكمه وسياسته للمسلمين، جاءت الآية تبين للنبي والمسلمين أي نهج عليهم أن يتبعوا بعد عصيانهم للكافرين والمنافقين. لقد بينت الآية أن النهج الوحيد هو اتباع الوحي، الدين المنزل على رسول الله ﷺ، وبذلك كانت السيادة في الإسلام هي للوحي وليس للبشر، بمعنى أن دستور وفكر ومفاهيم الحياة عند المسلمين يجب أن تستند إلى التشريع الإسلامي وليس لتشريع البشر وليس لأغلبية الشعب، فمهما كان عدد أفراد المسلمين في الدولة سواء أكانوا كثراً أو أقلة فعليهم أن ينقادوا بشرع الله، فالسيادة لشرع الله وفقط شرع الله.

وترجمة ذلك في واقعنا: أن على المسلمين أن يؤسسوا دستورهم على أساس القرآن والسنة، وعليهم أن يعتبروا الديمقراطية نظام كفر لأنها تعطي حق التشريع للبشر وللأغلبية وليس لله ولشرعه، ومعنى اتباع شرع الله أيضا هو أن نتبرأ اليوم مما يدعى بالدولة المدنية، والإسلام العصري، والإسلام الفرنسي والأمريكي، والإسلام الذي يفصله ويرسمه حكام المسلمين لنا ليتناسب مع نفاقهم ودساتير كفرهم.

وكل هذا الذي ذكر هو أمر لا يجب الاختلاف فيه أو الاجتهاد فيه لأن الله أمر بهذا في هذه الآية الثانية في سورة الأحزاب ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ أي إذا لم تتبع ما يوحى إليك من ربك وإذا لم يتبع المسلمون شرع الله ودستور الإسلام فإن الله سيعلم بهذا الأمر، وسيعلم ما نعصيه فيه والعياذ بالله، وعندها ستتم المحاسبة بناء على علم الله لما فعلناه ولما تجاوزناه، وبالتالي سيحاسبنا على هذا لأنه لا يفوت عليه شيء ولا تغيب عنه شاردة ولا واردة فهو خبير بما نفعل. وبذلك يكون قد قضي الأمر وبت وفصل فيه، فالوحي هو مصدر الدستور وعقلنا كمسلمين هو لخدمة هذا الفهم وليس لتحدي التشريع الإلهي وتنحيته ووضع تشريعات أخرى محله من عقولنا أو عقول المستعمرين: كالقانون الإنجليزي والفرنسي والسويدي واليوناني والروماني والأمريكي وغيرهم والعياذ بالله.

وأما الآية الثالثة في سورة الأحزاب فهي: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً**﴾

تضع هذه الآية الكريمة وتشيد قاعدة سياسية وأساسا مهما يكون هو الركن الحصين وزاوية الأمان التي سيلجأ لها المؤمنون حال تعرضهم للصعاب والعقبات، وحال محاولتهم السير في عصيان الكفار والمنافقين، واتباعهم وحي الله ودستوره كمنهاج عمل. إن هذه الآية الثالثة تبين أن الذي سيحل لكم كل هذه العقبات والصعاب هو الله عز وجل. وهذه الآية بمثابة وعد من الله، أنه سيتكفل بحل كل هذه العقبات والمصاعب، إذا نحن تكفلنا بعصيان الكافرين والمنافقين، وإن نحن تكفلنا باعتماد شرع الله وحده كأساس للتشريع والدستور.

فالآية تبين: توكل يا محمد ويا أيها المسلمون من بعده على الله، والله يكفيكم كيد الكفار والمنافقين، إنكم إن اتبعتم الوحي في دستوركم فثقوا كل الثقة بأن الله لن يترككم بلا نصر ولا معين أمام كل هؤلاء الكفار والمنافقين، بل وسينصركم عليهم جميعهم، وهذا وعد من الله للمسلمين تضمنته الآية الثالثة.

وما أهمية هذه الآية الثالثة في واقعنا وزماننا؟

هذا يعني ببساطة: أن اللجوء إلى هيئة الأمم المتحدة الكافرة لحل قضايانا كمسلمين، والتوجه لصندوق النقد والبنك الدوليين، وأن الانصياع لقرارات منظمة التجارة يتعاكس مع التوكل على الله ويتناقض مع الركون إلى الله، فهذه مؤسسات أسسها الكافر وتشريعاتها كلها تشريعات كفر، فكيف نتوجه لها نحن المسلمين لفض وحل نزاعاتنا وقضايانا السياسية والاقتصادية؟! فكيف يلجأ المسلمون للكافرين ومؤسساتهم لحل نزاعاتهم ودعم اقتصادهم؟! وكيف يكون ذلك عكس التوكل والاعتصام بحبل الله المتين الذي أمرت به الآية الثالثة من سورة الأحزاب، كيف يتوجه المسلمون بعد هذه الآية للمنافقين من حكام المسلمين والمنسقين مع المجرمين والقتلة؟

وخلاصة القول: إن الله أمرنا بعصيان الكافرين والمنافقين في الآية الأولى من سورة الأحزاب، وإن الله أمرنا في الآية الثانية من سورة الأحزاب باتباع أمر الله ووحيه ودستوره ووحيه وتشريعاته بدلا من اتباع الكافرين والمنافقين ودساتيرهم وقوانينهم وأنظمتهم، ونهاية فإن الله أمرنا في الآية الثالثة من سورة الأحزاب أن نتوكل عليه وحده وأن الله عالم الغيب القدير العزيز سيسهل علينا المصاعب والعقبات والمكائد التي سيضعها الكفار والمنافقون في طريقنا إن نحن عصينا الكفار والمنافقين، واتبعنا وحي الله عز وجل.

فيا إخوتنا المخلصين في هيئة تحرير الشام: إننا في حزب التحرير ندعوكم إلى هذه الآيات الثلاث كحكم بيننا وبينكم، فهذه الآيات الثلاث تبين النهج الذي يجب أن ينتهجه المسلم في حياته الخاصة والعامة وبالأخص في شؤون الحكم والسياسة والرئاسة.

يا إخوتنا المخلصين في هيئة تحرير الشام: إن كل ما دعاكم له شباب حزب التحرير هو عصيان الكفار والمنافقين اتباعا لما أمر الله به في الآية الأولى في سورة الأحزاب ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**﴾ وإذا فإن شبابنا في المحرر يدعونكم لعصيان أردوغان المنافق الأكبر، الموالي لأمريكا، وهذا كله ما تطلبه الآية. فهو من ينسق مع المجرمين الروس والإيرانيين الذين دعموا نظام أسد عبر سنوات الثورة العشر. إذ كيف ينسق معهم طوال هذه الفترة ويدعي الخير لكم وللثورة الشام؟!

يا إخوتنا المخلصين في هيئة تحرير الشام: لقد دعاكم إخوتكم في حزب التحرير في المحرر لاتباع أمر الله ووحيه فالله تعالى يقول في الآية الثانية من سورة الأحزاب ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ والله نهى عن الانصياع لمخططات أمريكا الرامية إلى السيطرة على سوريا من جديد عبر نظام أردوغان ونظام المجرم أسد، فلا يريد لكم إخوتكم أن تكونوا أداة بيد أردوغان ومن ورائه أمريكا، ودعوكم للتبرؤ من النظام التركي وقطع الحبال معه وشحذ الهمة ومقاتلة أعداء الثورة وعلى رأسهم نظام أسد المجرم الذي كادت الثورة أن تسقط نظامه وتقتلع نفوذ أمريكا من سوريا، وعدم التوقف عن ذلك حتى يفصل الله بينكم وبينه. وهذا هو ما دعت له الآية الثانية في سورة الأحزاب، وهو الانصياع لشرع الله ووحيه فقط.

يا إخوتنا المخلصين في هيئة تحرير الشام: لقد دعاكم شباب حزب التحرير في المحرر إلى الاتكال على الله وحده والتشبث بحبل الله المتين وحده وترك التشبث بحبال المنافقين أمثال أردوغان والنظام التركي، وهذا توافقا مع الآية الكريمة الثالثة في سورة الأحزاب ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً**﴾. وشباب حزب التحرير يدركون أن الكفار وعلى رأسهم أمريكا يحاولون إقناعكم بأن النظام التركي هو مخرجكم الوحيد للأزمة التي يعيش فيها المسلمون في المحرر وبدون النظام التركي سيتحول المحرر إلى سجن، هذا ما يحاولون إقناعكم به ليزيدوا ارتباطكم بالنظام التركي وليضعفوا ارتباطكم بالله وبحبله المتين، وانصرفوا بعدها عن نظام أسد، وبذلك ينسونكم الحقيقة العظمى بأن الله هو المنجي وهو الحافظ وهو الناصر وليس النظام الترك. وتذكروا معنا أن سورة الأحزاب جاءت لتبين لنا النهج السياسي لأحلك وأصعب الظروف والأجواء التي عاشها المسلمون الأوائل مع النبي الكريم ﷺ حين جاء الكفار بعددهم وعتادهم لاقتلاع المدينة والنبي والصحابة من جذورهم، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وإن إخوتكم في حزب التحرير في المحرر نصحوكم مرارا وتكرارا أن تنتهجوا نهج النبي والصحابة الكرام لما أصيبوا بنفس مصابنا في المحرر من تآمر القريب والبعيد علينا في المحرر وعلى كل الثورة لتركيعها للكفار ولأمريكا، ودعاكم شباب الحزب للتوكل على الله وشحذ الهمم للجهاد وعدم الانصياع لإملاءات النظام التركي الموجه والمأمور من قبل أمريكا، والتوكل على الله الذي أرسل الريح وجنودا لم يرها المسلمون فهرع الأحزاب متفرقين خائبين مردودين بغيظهم، لم ينالوا خيرا.

فالله الله في أنفسكم يا أيها المخلصون في هيئة تحرير الشام، الله الله في إخوتكم شباب حزب التحرير الذين لا يريدون لكم ولثورة الشام إلا كل الخير والرشاد، الله الله في ثورة الشام وتضحيات أهل الشام، راجعوا أنفسكم وعودوا عن خطئكم وظلمكم وعدلوا المسيرة وتمعنوا في هذه الآيات الثلاث التي فيها صلاح العباد والبلاد وهداية للخلف على طريق السلف.

#منتهك_الحرمات_عراب_المصالحات

كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

د. فرج ممدوح